

التنشئة الأخلاقية بين الخطاب التربوي والممارسة الاجتماعية: قراءة سوسيولوجية
Moral upbringing between educational discourse and social
practice: a sociological reading.

تاريخ النشر: 2026/04/30

تاريخ القبول: 2026/04/12

تاريخ الإرسال: 2026 /01/02

بلمقدم يحيى¹

¹ جامعة تلمسان ، الجزائر ، [EMAIL : yahia.belmokaddem@gmail.com](mailto:yahia.belmokaddem@gmail.com)

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تناول موضوع التربية الأخلاقية من خلال واقع التنشئة الاجتماعية في المجتمع، فهناك العديد من المؤسسات التي تلعب دور في نشر التربية الأخلاقية عبر كل الوسائل وخاصة تلك التي أصبحت تؤثر بشكل كبير وسريع من خلال وسائل الاعلام.

معتمدين على المنهج الوصفي التحليلي لفهم تصور شامل للتربية الأخلاقية، لتتوصل في الأخير إلى أنّ التربية الأخلاقية بحاجة إلى إعادة النظر في تثبيتها ومعالجة الحواجز التي تحول دون تحقيقها على الواقع المعيش وفق متطلبات العصر، والتقدم التكنولوجي حسب خصوصية كل مجتمع.

الكلمات المفتاحية:

الأخلاق، التربية، المؤسسة، المجتمع، الدور.

المؤلف المرسل: بلمقدم يحيى ، الإيميل: yahia.belmokaddem@gmail.com

Summary:

This study aims to address the topic of moral education through the lens of socialization within society. Numerous institutions play a role in disseminating moral education through various means, particularly those that have become increasingly influential through the media.

Using a descriptive-analytical approach to gain a comprehensive understanding of moral education, we ultimately conclude that moral education requires a re-evaluation of its implementation and a reassessment of the obstacles hindering its realization in contemporary life, taking into account the demands of the times and technological advancements, while remaining sensitive to the specific characteristics of each society.

Keywords: Ethics, Education, Institution, Society, Role

1. مقدمة:

إن موضوع التربية والأخلاق من المواضيع التي نادت بها الشرائع السماوية (اليهودية، المسيحية، والاسلام) و الديانات الأرضية (الزراديشية، البراهمية، البوذية...)، وتناولها القدماء حيث كانوا ينظرون للأخلاق على أنها المبادئ والأفكار والقواعد التي يتبناها المجتمع، ويلتزم بها اعتمادا على العادات والتقاليد التي يتقبلها. واهتم بها الباحثون حاليا ... بحيث يرى البعض بأن الفكر الأخلاقي من أقدم الأفكار الإنسانية لا يسبقه إلى الفكر الديني ولا يمكن للفكر الأخلاقي مهما كان أن ينطلق بمعزل عن الفكر الديني. لقد عالج القدماء موضوع الأخلاق أمثال الفيلسوف سقراط و أريستو عند اليونان، أما عند المسلمين نجد الفارابي، الغزالي وغيرهما، أما في الفكر الحديث نجد كانط، جون ديوي وغيرهم من المفكرين.

"فما من ظاهرة من مظاهر الحياة الاجتماعية قبل العلم والفلسفة وغيرها، حظيت بتفسيرات متناقضة بقدر ما حظيت به الأخلاق، من حيث تنوع مفاهيمها على امتداد تاريخها الطويل" (شحادة، 2008، صفحة 17).

إن فساد الأخلاق الذي يؤدي إلى العنف و التعصب و النزاعات و الظلم ... يتطلب منا اليوم إعادة النظر في التربية الأخلاقية التي يتلقاها الفرد داخل المجتمع أكثر من أي وقت مضى خاصة في ظل التحول الرقمي السريع الذي أخلط حسابات كل مربي سواء داخل الأسرة أو المدرسة أو أي مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى. فهذا التحول زاد من تحول وتغير الأخلاق بسرعة، لأن الأخلاق بحكم طبيعة الإنسان فهي في تحول و تبدل مستمر من حيث المكان والزمان نتيجة الظروف المحيطة بالإنسان.

إن أخطر ما يهدد الإنسان هو انعدام الأخلاق التي هي ثمرة التربية الأخلاقية من خلال القيم و المعايير الإنسانية، ففي حالة فقدان هذه الأخيرة يصبح المجتمع يعيش حالة مرضية كتلك التي تناولها عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركهايم (Emile Durkheim) والتي سماها "بالأنوميا"، وهي حالة الفوضى وتصعد الأخلاق و إنهيار المعايير في المجتمع.

كل هذا وذاك يتطلب الدور الكبير لكل مؤسسات المجتمع بأن تلعب الدور الحقيقي من أجل تربية أخلاقية مثلى، والاشكال العام الذي نتناوله في هذا المقال الفكري- التحليلي في سوسيولوجيا التربية الأخلاقية المبني على كون الباحث يعايش الواقع الاجتماعي فهو ملاحظ مشارك فيه على حد تعبير "بوانكاريه" حيث يتمحور حول الأدوار التي يجب أن تلعب في هذا المجال الهام من أجل الضبط الاجتماعي، وأهم العراقيل التي تحول دون تحقيق التربية الأخلاقية كممارسة يومية ترقى بالمجتمع إلى الأحسن في كل المجالات، فكيف تفسّر سوسيولوجيا التربية الأخلاقية الفجوة بين التنشئة الأخلاقية والممارسة الاجتماعية؟

للإجابة على هذا الإشكال المحوري نحاول الإجابة على مجموعة من الأسئلة الفرعية ولعل أهمها:

هل لنا القدرة الكافية لمواجهة تحديات عصر التطور الرقمي للحفاظ على قيمنا الأخلاقية؟

هل كل مربي اليوم سواء كان أب، أم، معلم، أستاذ، مختص تربوي أو رب عمل... إلخ يقوم بدور التربية الأخلاقية لهذا الجيل المشتت الأفكار من خلال وسائل التواصل الاجتماعي على سبيل المثال لا الحصر؟ هذه الوسائل أو الوسائط التكنولوجية التي شغلت بال كل فرد سواء كان مثقف أو غير مثقف، صغير السن أو كبير والتي تكاد اليوم تتفوق على التفاعلات البشرية بشكل عام والتي قال عنها (الوسائل التكنولوجية) عالم الفيزياء النظرية الألماني ألبرت أينشتاين (Albert Einstein): "أخاف أن تتفوق فيه التكنولوجيا على البشر، حينها سيمتلك العالم جيلا من الحمقى".

قبل الخوض في مناقشة وتحليل هذا الموضوع نعرّج على مجموعة من المفاهيم التي رأينا حسب اعتقادنا أنها مهمة تخدم الموضوع.

2 – المفاهيم:

لأبأس أن نعرّج على تعريف بعض المفاهيم السوسيولوجية التي لها علاقة مباشرة مع موضوعنا هذا:

1.2. تعريف التربية:

- حسب أفلاطون: التربية أن يصبح الفرد عضوا صالحا في المجتمع.
- حسب أريستو: التربية هي إعداد العقل لكسب العلم كما تعد الأرض للنبات و الزرع.
- حسب دوركهيم: التربية هي العمل الذي يقوم به الأجيال الناضجة نحو الأجيال التي لم تنضج بعد.
- التعريف الحديث للتربية:
- هي عملية تكيف ما بين الفرد وبيئته.

2.2. تعريف الأخلاق:

لغويًا: عَرَفَ ابن منظور كلمة الأخلاق بقوله: "والخُلُق: السجية، وفي الموسوعة البريطانية جاء تعريف الأخلاق: بأنها قسم من الفلسفة التي تعنى بما هو جيد وقبيح وما هو صحيح أو خاطئ. (شحادة، 2008، الصفحات من 16 - 17).

3.2. ماهية التربية الأخلاقية:

التربية الأخلاقية هي: "مجموعة من القيم الموجهة لسلوك الطفل لتحقيق أهدافه في الحياة" أو هي: "مجموعة من الخبرات التربوية التي يمر بها الطفل داخل الأسرة وخارجها"، ويشير علوان أن التربية الأخلاقية هي: "مجموعة من المبادئ الخلقية والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يلقنها الطفل، ويكتسبها ويعتاد عليها من تمييزه وتغلقه إلى أن يصبح مكلفا إلى أن يتدرج شابا إلى أن يخوض خضم الحياة" (فهيم، 2010، الصفحات 7-10).

يحدد عالم الاجتماع الفرنسي إميل دور كهايم ثلاث أهداف رئيسية للتربية الأخلاقية هي :

1- روح النظام.

2- الإلتزام الاجتماعي: تأثير الجماعة.

3- الذكاء الأخلاقي : معرفة فعالة لمختلف العادات والتقاليد، القيم، المعايير

السائدة في المجتمع.

4.2- تعريف الأسرة: هي مجموعة أفراد تربطهم صلة الدم والقرابة يقيمون في مكان معين.

5.2- تعريف دور العبادة:

تلعب دور العبادة في الكثير من المجتمعات قديما وحديثا دورا هاما في تنشئة الأفراد على أخلاق التسامح والتعاون والتشارك والاحترام وغيرها من الأخلاق، خاصة عند المجتمعات العربية والإسلامية التي تتخذ من الدين الإسلامي المرجع الأساسي في ذلك على عكس المجتمعات الأخرى التي تنتهج مبادئ الأخلاق العالمية المهيمنة والتي فرضتها ما يعرف بالعولمة...إلخ.

إنّ دور العبادة تعمل على التكامل مع الأسرة والمدرسة في التربية الأخلاقية للأجيال عبر العصور.



فدور العبادة: هي كل مكان مخصص لتعلم المبادئ الأخلاقية المبنية على أساس ديني التي تعد كمرجع أساسي لممارسات المجتمع، كما أنّها تعتبر المكان الذي تؤدّى فيه العبادات حيث يقوم فيه الناس بالطّقس الدينية.

6.2- التعليم: "هو تكوين الانسان بكامله، عقلا، وشخصا، وذهنا، ونفسا" (ولآخرون، 2010، صفحة 203).

التعريف الاجرائي للتعليم: هو تزويد الفرد بمجموعة من المعارف، ليصبح قادرا على الاندماج في المجتمع.

7.2- المدرسة:

المدرسة هي أحد الوسائل القوية في التربية والتعليم إذا استخدمناها بدون إفراط، لما لها من دور كبير في تلقين الطفل تعليم أساسي في حياته، فهي حلقة الوصل بين الأسرة وتعليم الطفل، بحيث يتعلم الطفل من خلالها مبادئ الحياة الأساسية التي تجعله يندمج في المجتمع، وذلك منذ أن يبلغ 5 أو 6 سنوات إلى غاية 10 أو 11 سنة فهو يقضي فيها وقت أطول مما يقضيه مع أسرته أثناء الدراسة، فالحياة الجماعية المدرسية للطفل مع أقرانه هي الحقيقة التي يعيشها يقول جون ديوي في ذلك: " يجب أن تكون حياة الجماعة المدرسية حقيقة، لا تمرينات لحياة مستقبلية"، ويبقى ذلك حسب خصوصية كل مجتمع وكل أسرة، والإمكانيات المتاحة لذلك.

8.2- التعليم العالي والجامعة:

1.8.2. التعليم العالي:

"ساهم ممثلوا 44 بلدا في ندوة نظمها اليونسكو سنة 1977 حول التعليم العالي في إفريقيا حيث قدموا تعريفا جاء فيه: التعليم العالي هو كل أشكال التعليم الأكاديمية، والمهنية، والتقنية، لإعداد العاملين، والمعلمين التي تقدم في مؤسسات الجامعات، ومعاهد التربية الحرة، والمعاهد التكنولوجية، ومعاهد المعلمين، والتي:

- 1 - تشترط للقبول فيها أن يكون المتقدمون قد أتموا الدراسة الثانوية.
- 2 - تشترط للقبول إليها أن يكون في عمر 18 سنة بصورة عامة.
- 3 - تكون المسافات الدراسية فيها مؤدية للحصول على مكافأة تحمل إسما يشير إلى ذلك، كالدرجة، أو الدبلوم، أو الشهادة في التعليم العالي" (الرحمان، 1991).



كذلك التعليم العالي " هو كل أنواع البرامج الدراسية المصممة للتكوين، للبحث تقدم على مستوى ما بعد التعليم الثانوي في مؤسسة جامعية، أو مؤسسات تعليم أخرى معترف بها، كمؤسسات تعليم عالي من طرف مؤسسات الدولة المؤهلة لذلك" (عيسى، 2004، صفحة 193).

التعريف الاجرائي للتعليم العالي: هو آخر مرحلة من مراحل التعليم التي يصل إليها الفرد الذي له قدرات فكرية، ومعرفية، وإمكانات مواصلة مسار التعليم، وهو الذي يزود المجتمع بكل الإطارات في مختلف المجالات، والتخصصات.

2.8.2 . الجامعة:

حسب "جروس، وبركينغ Grauss et Perking" وغيرهما "الجامعة منظمة اجتماعية، ومن ثم يكون لها هدف، أو طائفة من الأهداف، تسعى إلى تحقيقها" (Perking). أما "ماكس فيبر" (1920/1864) Max Wiber يرى بأنها "عبارة عن علاقة اجتماعية مغلقة تحول دون دخول الغرباء، وتتميز في رأيه بمعيارين أهمهما، أنها تقوم بنشاط هادف من نوع معين" (Weber, pp. 145-146).

أما "حسب تعبير "هربرت سبنسر Herbert Spenser" فالمؤسسة تشبه العضو، أو الجهاز الذي ينجز وظائف مهمة للمجتمع" (ميشال، 1981، صفحة 127).

حسب مراد بن أشنهو: الجامعة "أوجدتها أناس لتحقيق أهداف ملموسة، ومتعلقة بالمجتمع الذي ينتمون إليه، فكل مجتمع يؤسس جامعتة بناء على مشاكله الخاصة، وتطلعاته، واتجاهاته السياسية" (أشنهو، 1981، صفحة 3).

تبقى المؤسسات التعليمية وفي مقدمتها الجامعة في إعتقاد عالم الاجتماع الفرنسي "بيير بورديو" (2002/1930) Pierre Bourdieu "المؤسسات المثلى التي تستثمر بكثافة ترسانة من الأشكال التقعيدية، ومن آليات مؤسسات التنشئة الاجتماعية، خاصة المؤسسة الجامعية ... إلخ.

9.2. وسائل الاعلام:

هي كل الوسائل والتقنيات التي تقوم بتوصيل الأخبار والمعلومات إلى الناس في شكلها المطبوع مثل: الصحف، الكتب، المجلات، المسموع مثل: المذياع، المرئي

والمسموع مثل: التلفزيون، الحاسوب، الهاتف... إلخ عن طريق شبكة الأنترنت أو غيرها من الوسائل.

10.2. دور وأهمية المؤسسات المتزامن والمتعاقب في التربية الأخلاقية:

يمر الفرد بمراحل متعددة لتلقي تربية أخلاقية منذ نشأته إلى وفاته عبر مؤسسات مختلفة، فهي عامل أساسي من عوامل الضبط الاجتماعي، ولكل مرحلة خصائصها الخاصة حسب كل مؤسسة، كما أن لكل فرد خصوصياته (الفردية الشخصية، المجتمعية...) بحيث ليس بالضرورة أن يمر الفرد بكل مؤسسات التنشئة التي ذكرناها أو سنذكرها، كما أن البعض من هذه المؤسسات محدود بفترة زمنية ومكان معلومين، وكلها تقوم بأدوار لها أهمية بالغة في المجتمع، ويمكننا إيجاز أهمها كما يلي:

أ- الأسرة:

تلعب الأسرة دور أساسي ومهم في تنشئة الأجيال فهي الخلية الأساسية في تكوين المجتمع على حد تعبير الفيلسوف اليوناني أريستو، وقاعدته الثابتة منذ القديم، كما تلعب الدور المحوري في غرس القيم وتلقين الطفل التربية الأخلاقية التي تركز في غالب الأحيان على الجانب الديني خاصة في المجتمعات الإسلامية منذ ولادته إلى أن يكون أسرة مستقلة وينفصل عن أسرته الأم.

"فالعلاقة بين أفراد الأسرة والقيام بالعبادات، والتمسك بالشعائر، والتحلي بالخلق الحسن في القول والعمل، والأخذ بالقيم الفاضلة التي تدعو إلى حب الخير وكره الشر، وغرس القيم الطيبة بين الأطفال، والحرص على مصالح الناس، والكف عن إيذائهم، فكل ذلك يدركه الطفل ويحسه، ويشعر به من خلال تفاعله مع جماعته المتديّنة، بينما ينمو في اتجاه مخالف إذا نشأ في جماعة تهتز فيها القيم والمعايير الخلقية السليمة، وتنمو معه بذور الشر والانحراف الخلقي الذي تنعكس آثاره في مواقف الحياة والمجتمع" (سرحان، 1982، صفحة 189).

فعند زواج أحد الأبناء (الأنثى بالضرورة تذهب إلى بيت زوجها)، أما الذكر فغالبا ما ينفصل هو الآخر خاصة في العصر الحالي الذي أصبح يتميز بالأسرة النووية ويفرض علاقات أسرية واجتماعية جديدة و معايير ضبط اجتماعي أخرى تختلف عن العلاقات

الأسرية والاجتماعية التي كانت سائدة في عهد سيطرة الأسرة الموسعة التي كانت تتميز بسيطرة العادات والتقاليد خاصة في المجتمعات العربية الإسلامية المحافظة. أما اليوم فالأسرة الموسعة تكاد تنعدم وأصبحت الأسرة النووية تتميز بمظاهر تشبه إلى حد كبير ما هو سائد في المجتمعات الغربية مع بعض التعديلات في الحياة اليومية للأزواج خاصة حديثي الزواج والذين تظهر على ملامح طريق زواجهم بعض المؤشرات الأخرى التي توجي بالتأثر الكبير الذي يظهر في سلوكياتهم وممارساتهم وأخلاقهم من خلال وسائل الإعلام بكل أشكالها المسموعة والمرئية والمقروءة.

ب - المدرسة (التعليم الابتدائي):

"تُعد المدرسة مؤسسة اجتماعية متخصصة، وهي تؤدي دورًا لا يمكن إغفاله في ترسيخ القيم التربوية، حيث تستخدم طرقًا مباشرة ومقصودة، وذلك بتناول هذه القيم صراحة في مواد الدراسة وشرحها، مع تأكيد ضرورة التمسك بها، ويمكن استخدام القصص ومناقشة ما جاء فيها، وأخذ العبر منها، ومعرفة السلوك الحسن الذي جاء فيها والسلوك السيئ للاستفادة من السلوك الطيب، وتجنّب السلوك السيئ... إلخ.

كما تستخدم المدرسة العديد من الأساليب لتثبيت بعض أنواع السلوك المرغوب فيه، مثل إظهار الموافقة وتقديم الجوائز...، ولا بد من التعاون بين الأسرة والمدرسة والمسجد في تحصين الطلاب بالقيم الأخلاقية، ولا يمكن إغفال دور المعلم في غرس القيم بين الطلاب لما له من أثر عظيم يمكنه من إحداث تغيير في سلوكياتهم، بالإضافة إلى أن الطلاب يتأثرون بالسّمات البارزة والسلوك المتميز للمعلم، ويتعلمون منه القيم والأفكار، فهو بمثابة القدوة يقلّدونه ويحتذون به في سلوكه وتصرفاته، فمسؤولية القيم الخلقية وغرسها وتنميتها، تقع على عاتق جميع القائمين على شؤون التربية في المدرسة، بل هي مسؤولية المجتمع بمؤسساته المتعددة (محمود، 1992، صفحة 416)، وأن يتضمّن محتوى بعض المقررات الدراسية أنواع القصص المختلفة، وذلك من خلال سنوات الدراسة في المراحل التعليمية المتعددة" (خطاب، 1995، صفحة 274). لقد خلق الله الإنسان على فطرة الإسلام الذي يدعو ويركّز على الأخلاق، والحفاظ وصون هذه الفطرة من الانحراف يتطلب الدور الفعال لأوّل مؤسسة والمتمثلة في الأسرة، فكما جاء

في الحديث النبوي الشريف حيث قال الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه" (البخاري، /).

وللمدرسة أهمية كبيرة في التربية الأخلاقية يمكن حصرها في مايلي:

- تلعب دور الوسيط بين الأسرة و المجتمع و بين الفرد والجماعة .
- الطفل (المتعلم) محور العملية التربوية الأخلاقية بين الفاعلين في كل المؤسسات الاجتماعية:

الأسرة، المدرسة، دور العبادة، المتوسطة، الثانوية الجامعة، مراكز التكوين المهني ... إلخ.

للمدرسة دور محدود بمدة زمنية معلومة حسب خصوصية ونظام التعليم في كل مجتمع قد تدوم خمسة أو ستة سنوات وينتقل منها التلميذ ليجد نفسه في مؤسسة أخرى (المتوسطة) ليتلقى التعليم الأساسي الذي يختلف من عن التعليم الابتدائي من عدة أوجه إلا أن الهدف واحد وهو التنشئة الاجتماعية والتربية والتعليم والتكوين من أجل بناء فرد سوي داخل المجتمع لخدمته وبناءه ويعمل على تطوره وتقدّمه وازدهاره وفق معايير الضبط الاجتماعي المتعارف عليها في المجتمع حسب القيم والعادات والتقاليد السائدة. لتأتي آخر مرحلة من مراحل التربية والتعليم وهي المرحلة الثانوية التي يتم فيها تحضير التلميذ أو المتعلّم لآخر مرحلة من مراحل حياته العلمية وهي مرحلة التعليم العالي.

ج - وسائل الاعلام:

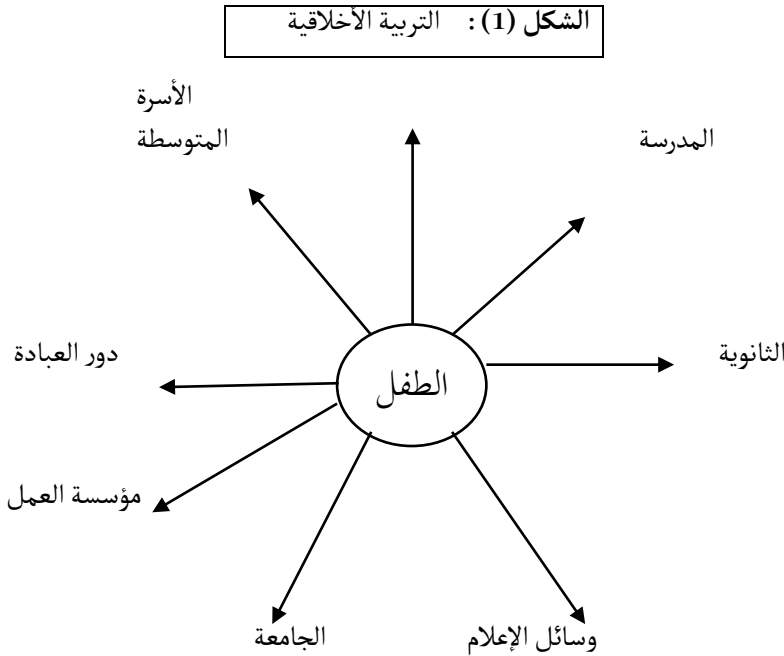
تلعب وسائل الاعلام الحديثة بكل أنواعها المطبوعة والمسموعة والمرئية والانترنت التي أصبحت جزء من كل أسرة، وبالتالي جزء من حياة كل فرد دورا كبيرا ومؤثرا في حياة الناس لما لها من انتشار واسع وسهل بفضل التطور التكنولوجي السريع، الذي يشهده العالم في ظل عصر ما يسمى بعصر المعلومات.

كما أنّ دور هذه الوسائل غير محدّد بفترة زمنية و لا بمكان معين و لا بسن و لا بجنس، فأصبح الفرد يتأثر بثقافات المجتمعات الأخرى لدرجة وصوله إلى العيش في صراعات وتناقضات في بعض الأحيان من خلال ممارساته اليومية. تاركا كل المبادئ الأخلاقية السليمة سواء المحلية التي هي جزء من هويته، أو العالمية بفعل الانترنت

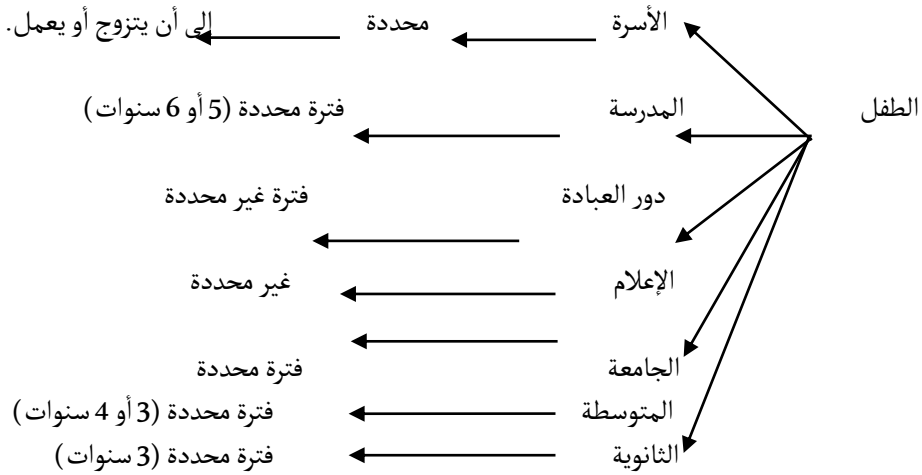


ووسائل التواصل الاجتماعي، وأصبح اليوم يعيش في ثقافة جديدة سمّيتها من قبل "بثقافة التناقض"، هذه الأخيرة التي تضعف دور التربية الأخلاقية إن لم نقل تعدمها.

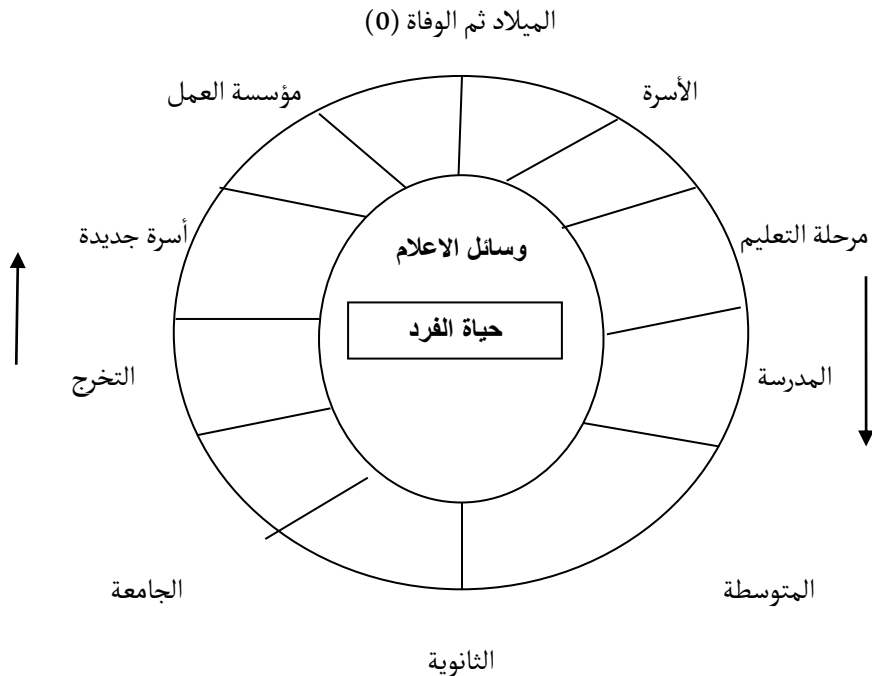
يمكن في الأخير أن نلخص أهم المراحل التي يمر بها الفرد بين مختلف مؤسسات التربية الأخلاقية والتفاعلات التي تحدث بين هذه التنشئة التي يتلقاها الفرد- كما نذكر أنه ليس بالضرورة أن يمر كل فرد بهذه المراحل عبر هذه المؤسسات التي ذكرناها - كما يلي:



هذه المؤسسات لها أدوار متكاملة، حيث يؤثر بعضها في البعض الآخر.



الشكل (2) : دور بعض المؤسسات في التربية الأخلاقية للفرد داخل المجتمع



الشكل (3) : المسار المتزامن والمتعاقب لتلقي الفرد التربية الأخلاقية

11.2. أهمية التربية الأخلاقية :

للتربية الأخلاقية دور كبير في حياة الإنسان الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، والثقافية، في كل المجالات. فكلما تلقى الفرد منذ نشأته تربية أخلاقية عبر مختلف المؤسسات يعمل على ترقيتها من خلال قواعد الإلزام والالتزام، ويعمل على تحقيقها والدفاع عنها خدمة لنفسه وللمجتمع، والعكس صحيح، والتي تجنبه التناقض في معيش حياته اليومية التي يقترح "هنري لوفافر" في مؤلفه "نقد الحياة اليومية" تعريفا لها (للحياة اليومية) فيقول: بأنها الأفعال والممارسات التي تتكرر في حياة الناس يوميا والحياة اليومية لديه تحيطنا من كل الجوانب فنحن فيها وخارجها.

كما "تعد التربية الأخلاقية بمثابة تربية للإرادة، وإذا كانت الأخلاق هي رصيد الكائن الذي يبلغ تفتحها الكامل، فمن المنطق أن نفكر في أن التربية الأخلاقية مدعوة لتتبع تطور الكائن الطبيعي خطوة بخطوة" (إبراهيم، 2006، صفحة 257)، "فمسألة السلوك الأخلاقي تعد بمثابة الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أي نشاط إنساني، فهي القوة التي تنظم الحياة الاجتماعية من كل جوانبها التعبدية والتعاملية، فافتقاد الإنسان للسلوك الأخلاقي الطيب، ينعكس بصورة سلبية على تعاملاته" (السيد، 2011، صفحة 85).

12.2. العلاقة بين دور الأسرة والمدرسة ودور العبادة (المسجد، الزوايا وغيرها بالنسبة للمجتمعات الإسلامية):

هناك دور كبير وتكامل بين الأسرة والمسجد والمدرسة في المجتمعات العربية والإسلامية من أجل تلقين الأطفال تربية خلقية تتوافق وخصوصيات المجتمع الذي ينتمي إليه وتتميز بالإنفتاح على العالم الخارجي من خلال إحترام آراء وأفكار الآخرين والاندماج معهم في تعايش وود وهذا من الناحية النظرية أما الواقع المعيش شيء آخر. لكن هل المدرسة اليوم والأسرة والمسجد حققت هذا التكامل ميدانيا أي من خلال ممارسات الأفراد؟

نكون مخطئون إذا أجبنا بنعم، لأن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المحلية والإقليمية والدولية تغيرت بالنسبة لما كانت عليه سابقا، حيث جعلت من دور هذه المؤسسات الثلاثة غير قادرة على القيام بالدور المتكامل من خلال التدخل في سير

وظيفة و برامج تلك المؤسسات من خلال تحديد و تقزيم دورها في التكوين و منهجية تقديمه، و كذلك من خلال فتح المجال الواسع لتأثير وسائل الإعلام دون ضوابط ملموسة والتي أصبحت تؤثر على السلوكات والقيم الاجتماعية للفرد وبالتالي للمجتمع ككل.

فأحيانا نجد من يعلم المتعلم (أب، أم، معلم، أستاذ، إمام، مختص تربوي...) يحتاج هو الآخر إلى تربية أخلاقية (نتيجة ميولاته الأيديولوجية، أو الحزبية، أو الجهوية، أو العرقية، أو خلل في تنشئته الاجتماعية أو أحيانا نتيجة أمراض نفسية...) فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يغرس الأخلاق الحسنة في المتعلم، بقدر ما يغرس فيه قيما لا أخلاقية لأن المعلم أو المربي مهما كانت مسؤوليته في المجتمع يعتبر القدوة الحسنة بالنسبة للمتعلم... أو هو النموذج المثالي " Ideal type " الذي يقتدي به على حد تعبير عالم الاجتماع الألماني ماكس فير.

إنّ المربي اليوم مهما كان، أو الفرد بشكل عام في المجتمع يقوم بأدوار مختلفة تتناسب ومكانته الاجتماعية ومركزه الوظيفي، إلا أنه يتأثر حتما بمحيطه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي والديني وتنشئته الاجتماعية في أداء دوره في المجتمع، فإذا ما ترعرع في وسط يتميز بسلوكات لاعقلانية متناقضة فإنه يعمل على تمريرها وغرسها للأجيال اللاحقة أحيانا بوعي (هذه الحالة تخص من ينتمي للطبقة المثقفة)، و أحيانا أخرى بدون وعي (هذه الحالة تخص من ينتمي للطبقة غير المثقفة). لأن السلوك الاجتماعي حسب نظرية الدور الاجتماعي يتشكل من خلال الأدوار الاجتماعية التي يشغلها الأفراد في المجتمع ضمن جماعة ما (جماعة الرفاق، جماعة العمل، ...) وتفترض هذه النظرية أن الأفراد يتعلمون تفاصيل هذه الأدوار من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتفاعل المستمر مع الآخرين، ويسعون دائما إلى تصرفات تتوافق مع التوقعات.

فلا يمكن لأي مؤسسة ك شخصية معنوية من الناحية القانونية أن تلعب الدور كما هو دون مساندة و مساعدة و تكامل المؤسسات الأخرى ، بمعنى آخر لا يمكن لأي مؤسسة أن تقوم بدورها التربوي أو الأخلاقي أو أي دور آخر بمعزل عن بقية المؤسسات الأخرى مهما كانت مكانتها بالمجتمع. لذلك نجد اليوم المفارقات في معيش الأطفال و بالتالي عند هذا الجيل بسبب معيشتة، و تربيتة، و حياته اليومية في مؤسسات متناقضة أحيانا...، تناقضات في التربية الأخلاقية من خلال " عقلنة كل ما هو غير عقلاني " لخدمة المصالح

الخاصة، و أحيانا أخرى المصالح الجماعية دون مراعات للقيم و التربية الأخلاقية التي تنفي و تمنع وتواجه التناقضات، و بالتالي تنفي وتحارب عقلنة اللاعقلانية في اتجاهها السلبي... إلخ.

هذه السلوكات و الممارسات الناتجة عن عدم تكامل دور المؤسسات في التربية الأخلاقية جعلت من الفرد يتميز بثقافة سمينها في منشورات سابقة "ثقافة التناقض" من خلال "عقلنة اللاعقلانية" - أي نجعل كل ما هو غير عقلاني، عقلاني حسب "مصالحن الشخصية، وأيديولوجياتنا" لتجسيد البراغماتية، نقدم تبريرات، وتفسيرات لأفعالنا غير العقلانية (السلبية)، فتصبح عقلانية من منظور الحس المشترك ... لكنها تبقى غير عقلانية من منظور العقلانية الحقيقية - العلمية المنطقية - لأننا نعقلن الشيء ونقيضه على حساب الأخلاق، والمبادئ الإنسانية أولاً، والمصالح العامة للمجتمع ككل ثانياً.

هذا المفهوم المركب (عقلنة اللاعقلانية) لا ينطبق على الفرد فحسب بل يتعدى ذلك، حيث هذه الظاهرة (عقلنة اللاعقلانية) تنطبق في عصرنا الحالي على الأفراد، والجماعات، والمجتمعات (كأنظمة)، وعلى جميع المستويات: السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، التعليمية... إلخ، وهذا الواقع تعرفه كل المجتمعات دون استثناء (بدرجات متفاوتة) في عصر ما يسميه البعض بعصر ما بعد الحداثة، ويسميه البعض الآخر عصر العولمة، وعصر مجتمع المعلومات... إلخ. والهدف واحد مهما كانت الفئة، أو المجال هو خدمة المصلحة الذاتية، والأيديولوجية (البراغماتية)، على حساب مصلحة الآخرين، التي لا تخدم الانسانية.

فحسب اعتقادنا مرت المجتمعات البشرية بثلاث مراحل منذ نشأتها من حيث التفكير في المصالح هي:

1 - مرحلة اللاعقلانية: وهي طبيعية ناتجة عن الجهل الطبيعي للبشرية (منذ النشأة) وهي تتغذى من الأفكار الميتة (مفهوم جاء به المفكر مالك بن نبي).

2 - مرحلة العقلانية: وهي نتيجة التطور، والتقدم العلمي، وظهور المجتمعات الحديثة بعد النهضة العلمية... وهي أسى المراحل، لأنها تتوافق، والمنطق الذي يعرف على أنه:

"التفكير الصحيح" حسب المفكر الفرنسي جون جاك روسو (1712-1778) (Jean-Jacques Rousseau) وهي تنغذى من الأفكار الحية (مفهوم جاء به المفكر مالك بن نبي).
3 - مرحلة عقلنة اللاعقلانية: وهي عقلنة الشيء، ونقيضه، أي إعدام العقلانية، وهي المرحلة الأخيرة، التي نعيشها في عصرنا الحالي، وهي أخطر، وأساء المراحل في تاريخ البشرية ناتجة عن عدة عوامل أهمها اختلال وانعدام الأخلاق والمبادئ الأخلاقية تنغذى من الأفكار القاتلة.

13.2. الخاتمة:

تؤدي مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة دورا كبيرا في تلقين التربية الأخلاقية ونشرها ولعل أهمها الأسرة التي يتلقى من خلالها الطفل أولى مبادئ التربية الأخلاقية، تليها مؤسسة المدرسة وباقي المؤسسات التربوية الأخرى التي تعمل دور الوسيط بين الطفل وأسرته فهي تزود الطفل بالمبادئ الأخلاقية الإنسانية حيث يتعلم التسامح والتعاون والانفتاح على الآخر وغيرها من المبادئ الأخلاقية الإنسانية العالمية.
كما تلعب الدور الأساسي في تحقيق الأمن التعليمي الذي يعتبر أحد مؤشرات قياس درجة الأمية، فكلما حققت المدرسة الأمن التعليمي للأجيال ابتعد المجتمع عن الأمية، والعكس صحيح. كما أنّ لدور العبادة الدور الهام في تزويد الأجيال بروح التسامح والتعاون، وتهذيب النفس والحث على التقارب والتشارك واحترام الآخر... إلخ.

لكن ما يعيشه الفرد اليوم من خلال التحولات التي تشهدها المجتمعات المعاصرة من تغير اجتماعي متسارع ومتناقض في نفس الوقت عمل على الحد من دور هذه المؤسسات العريقة رغم الجهود المبذولة وذلك بفعل التطور الكبير الذي عرفته وسائل الاعلام والاتصال خاصة وما انجر عنه من آثار سلبية تعمل في الغالب ضد المبادئ الأخلاقية السليمة المتعارف عليها.

فالطفل اليوم يتلقى تربية أخلاقية في دور العبادة أو المدرسة أو غيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعند خروجه إلى الشارع أو الأسرة لا يجد ما يبرر ذلك فيصاب بالاعتراب (هذا المفهوم جاء به عالم الاجتماع والاقتصاد الألماني كارل ماركس (1818-1883)). ما يجعله يعيش لفترات قد تطول خلال مساره التعليمي على الأقل في تناقضات بين:



- الأسرة والمدرسة.

- المدرسة ودور العبادة،

- الأسرة ودور العبادة.

وبالتالي يعيش حالة من الاغتراب تكسبه في الأخير ثقافة جديدة - تختلف عن ثقافة الأسرة وثقافة المدرسة ومبادئ دور العبادة- تشكلت نتيجة احتكاكه بهذه المؤسسات الثلاثة المجبر على التفاعل والاحتكاك بها وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى إنها "ثقافة التناقض"، فهل هذا نحن نسير نحو تأسيس لثقافة جديدة متناقضة المبادئ؟
قائمة المصادر والمراجع:

- 1- خليف، جميلة شحادة (2008)، أخلاقيات القيادة، دار إقرأ للنشر والتوزيع، حولي، الكويت.
- 2- خليف، جميلة شحادة، نفس المرجع.
- 3- سعد عبد المنعم فهمي (2010)، إشكالات تربوية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر.
- 4- طوني بينيت وآخرون، 2010، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغاني، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت.
- 5- عبد الله محمد عبد الرحمان، (1991) سوسيولوجيا التعليم، دراسة في علم الاجتماع التربوي، قسم علم الاجتماع التربوي، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.
- 6- لحسن بوعبد الله والسعيد بن عيسى، 2004، إشكالية التكوين والتعليم في إفريقيا والعالم العربي، فعاليات الملتقى الدولي أيام 30/29/28 أفريل 2001، مخبر إدارة وتنمية الموارد البشرية العدد الأول، جامعة سطيف.
- 7- Max Weber The Theory Of Social and economic organization New York The Free.
- 8- لينكن ميشال، (1981) معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد حسن، دار الطليعة، بيروت.

- 9- مراد بن أشنهو، 1981، نحو الجامعة الجزائرية، ترجمة عائدة أديب بامية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
- 10- منير المرسي سرحان (1982): في اجتماعيات التربية، القاهرة، الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة.
- 11- علي عبدالحليم محمود، (1992) تربية النشء المسلم، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر الطبعة الثانية.
- 12- سمير عبدالقادر خطاب، (1995) التربية الخلقية وأهميتها في حمل الأبناء على البر بالوالدين، دراسة تحليلية لقصص بعض الأنبياء والصالحين، مجلة التربية، كلية التربية، جامعة القاهرة، العدد 52، أكتوبر.
- 13- البخاري، كتاب الجائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، حديث رقم (1358).
- 14- ناصر، إبراهيم (2006)، التربية الأخلاقية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن.
- 15- طراد، محمد السيد (2011)، سبيل الآباء في تربية الأبناء، عالم الكتب، القاهرة، مصر.